المسجد النبوي الشريف ..الصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه

مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام هي حقاً دار الإيمان كما قال (صلى الله عليه وسلم)«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» صدق رسول الله (صلى الله عليه السلام)، وأحب البقاع إلى الله عز وجل.. لا يدخلها الدجال والطاعون.. وهي آخر الدنيا خراباً.. يشتاق كل مسلم إلى زيارتها.. وهي العاصمة الإسلامية الأولى.. منها شع النور وانتشر حتى بلغ أرجاء المعمورة منذ أن هاجر إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم.. ومن المدينة المنورة حكمت الأرض كلها.. فشهدت الدنيا أعدل الخلفاء.. وبها قبر رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم سيدنا إبراهيم مكة المكرمة فقال عليه الصلاة والسلام «إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لأهلها ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة..وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا إبراهيم لأهل مكة» فهي حرم. وللمدينة المنورة شخصية جغرافية متميزة عن سائر مدن العالم، ومن الطبيعي أن تجذب المدينة المنورة انتباه العالم الجغرافي بما يميزها من تفرد، بين نظيراتها في العالم الإسلامي بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة.. وتحمل المدينة المنورة فوق أرضها قبر سيد الخلق محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأطهر وأفضل المساجد فوق الأرض بعد المسجد الحرام وهو المسجد النبوي الشريف..

المسجد النبوي في عهد الرسول

الصلاة فيه تعدل الف صلاة فيما سواه المسجد الحرام.. وإليه تشد الرحال.. ويعتبر مسجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) اول مسجد ثابت المعالم والتاريخ.. وكان المسجد أرضا بها نخل وقبور للمشركين، وكانت أرضا خربة في البداية ومملوكة لغلامين يتيمين من الأنصار هما (سهل وسهيل).. وكانت هذه الأرض على موعد مع القدر حيث اشترى الرسول (عليه الصلاة والسلام) الأرض من الغلامين بعشرة دنانير، وأمر النبي (عليه الصلاة والسلام) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت وسويت الأرض تمهيدا لبناء أطهر مساجد الإسلام، وقد استغرقت عمارة المسجد سبعة شهور قضاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ضيافة (أبي خالد الأنصاري) ثم أذن لفقراء المسلمين الذين ليس لهم منازل ولا عشائر أن يناموا في المسجد وقد عرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة لإقامتهم بالمسجد على هيئة صفوف.

أما مساحة المسجد الأولى فكانت سبعين ذراعا في ستين ذراعا أو يزيد (الذراع = ستة وستين سم) وهذا المسجد الذي عمل بناءه النبي عليه الصلاة والسلام وعاونه في ذلك اهل المدينة من المسلمين، كان بناءً بسيطاً يترجم في بساطته عن يسر الإسلام، حيث اعتمد على بعض الصحابة ممن لهم خبرة في مجال البناء، وكان المسجد على هيئة فناء مربع متساوي الأضلاع، وتحف به أربعة جدران، ارتفاعها 7 أذرع، ويتجه احد جوانبه نحو المسجد الأقصى بالقدس الشريف، والجدار المقابل نحو الكعبة المشرفة في الجنوب. وكانت الجدران مبنية في بدايتها من الطوب اللبن، وسقف جزء منه بسعف النخيل والطين، وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل وكان للمسجد ثلاثة أبواب هي باب جبريل، وباب النساء وباب الرحمة، وما زالت هذه الأبواب تعرف باسمها حتى الآن..

وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بان يبنى خارج الطرف الجنوبي من الجانب الشرقي مسكنان لزوجتيه السيدة عائشة بنت ابي بكر والسيدة سودة بنت زمعة - رضي الله عنهما - ثم اضيف إلى هذين المسكنين بيوت اخرى لباقي زوجات الرسول عليه السلام ولم تكن هذه البيوت ملتصقة بالمسجد بل كان يفصل بينها وبين المسجد طريق عرضه 10 اذرع ويبدوا أن المسجد لم يكن في اول الأمر، سوى ظلة واحدة وكانت ترتكز على سوار من جذوع النخل حفت على ابعاد متساوية وفي السنة الثانية من الهجرة امر الله سبحانه وتعالى رسوله - عليه السلام - أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد أن كانت القبلة أول الأمر تجاه بيت المقدس، فنقلت القبلة من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي من المسجد النبوي الشريف ...

ودخل المسجد في طور جديد حيث اضاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) ظلة ثانية وجعل في وسطها علامة تعين موضع القبلة وهي تعتبر الأساس الأول لفكرة المحراب، واصبح بوسط المسجد مكان مكشوف عرف باسم صحن المسجد وبقيت السقيفة القديمة على حالها يستظل بها الناس من حرارة الشمس وعرفت بالصفة..

ولم يكن المسجد في ذلك الوقت يشتمل على مئذنة إذ كان المؤذن ينادى للصلاة من فوق سطح أعلى منزل مجاور للمسجد ... وفي السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة بعد غزوة خيبر قام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بتوسيع المسجد وبيوت زوجاته الشريفة، واصبحت هذه البيوت تفتح على المسجد مباشرة، وكان بعضها من جريد النخل والبعض الآخر من الحجارة ... وادى ازدياد اعداد المسلمين، واتقاء لحرارة الشمس قام المسلمون ما بين السقيفتين الجنوبية والشمالية بسقيفتين اخريين إلي جهة الشرق والغرب من المسجد، وظل المسجد بهذه الحال حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام 11 هـ ودفن (عليه السلام) في أرض حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها).

وصار تخطيط المسجد النبوي بالمدينة المنورة نموذجا للمساجد الجامعة التي اسسها المسلمون في المدن الجديدة التي انشاؤها عقب الفتوح الإسلامية مثل مسجد البصرة ومسجد الكوفة بالعراق ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر، ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان.

تأسيس المسجد

عندما وصل النبى محمد إلى المدينة المنورة، تحفه جموع المسلمين من المهاجرين والأنصار، فبركت الناقة في أرض تقع في وسط المدينة، فاشتراها النبي محمد من أهلها واختار رسول الله هذه البقعة لتكون مسجدا يجتمع المسلمون فيه لأداء صلواتهم وعباداتهم، وشرع مع أصحابه في بنائه

المدينة المنورة تحمل فوق أرضها قبر أشرف الخلق الرسول صلى الله عليه وسلم

أسس النبي المسجد في ربيع الأول من العام الأول من هجرته، وكان طوله سبعين ذراعا، وعرضه ستين ذراعا، أي ما يقارب 35 مترا طولا، و30 عرضا، وجعل أساسه من الحجارة والدار من اللبن وهو الطوب الذي لم يحرق بالنار، وكان النبي محمد يبني معهم اللبن والحجارة، وجعل له ثلاثة أبواب، وسقفه من الجريد.

روى البخاري قصة بنائه (7/266- فتح الباري) في حديث طويل عن انس بن مالك وفيه أن النبي : ((أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فجاؤوا، فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه (خشبتان مثبتتان على جانبي الباب) حجارة، قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله معهم يقولون: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة)) ولما ازدحم المسجد وكثر المسلمون قام النبي بتوسيعه، وذلك في السنة السابعة من الهجرة بعد عودته من خيبر فزاد في طوله عشرين ذراعا وفي عرضه كذلك، وكان عثمان بن عفان هو الذي اشترى هذه البقعة التي اضافها النبي كما في سنن الترمذي (5/3703). ومسجد النبي هو المسجد الذي أسس على التقوى كما في صحيح مسلم (رقم 1398). وفيه قال النبي : ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)) متفق عليه (فتح الباري 3/63 برقم 1190 وصحيح مسلم رقم 1394). وفيه ايضا قال النبي : ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته)) رواه الطبراني في المعجم الكبير (8/111) وابو نعيم في حلية الأولياء (6/97) وهو حديث صحيح.

وكانت عمارته على مر العصور موضع اهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين. ولقد ابتدأ رسول الله عمارة مسجده ثم وسع فيه بنفسه وتعاقبت التوسعات والعمارات تأسيا بفعله على هذا المسجد المبارك حتى وصلت به إلى المستوى الذي هو عليه الآن.

المسجد النبوي حالياً

مساحة المسجد الحالية عبارة عن مستطيل غير متساوي الأضلاع طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب 116 مترا وعرضه من الشمال 66 مترا، بتوسطه صحن مكشوف سماوي طوله أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تتكون من اثني عشر رواقا والغربية من ثلاث أروقة اقيمت ظلاته على عقود محمولة على عمد من الرخام أو الجرانيت وسقفه مجدد في العصر العثماني على هيئة قباب ضحلة محمولة على مثلثات كروية ! وقد ازدادت أبواب المسجد حتى وصلت إلى أربع وعشرين بابا منها أربعة أبواب خاصة في جهة القبلة وعشرون بابا عاما، وقد سدت هذه الأبواب كلها ما عدا خمسة أبواب هي التي يمكن حسابها من الناحية الأثرية.

محاريب المسجد النبوي

وللمسجد النبوي الشريف ثلاثة محاريب أقدمها المحراب النبوي وموقعه حاليا في الرواق الثالث من ظلة القبلة وهو الموضع القديم الذي عينه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند تحول القبلة في شعبان من السنة الثانية من الهجرة، والمحراب الثاني إلى اليمين من محراب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويعرف بالمحراب السليماني، والمحراب الثالث ويقع في صدر المسجد وهو الذي أضافه الخليفة عثمان بن عفان عند توسيع ظلة القبلة.

مآذن المسجد النبوي الشريف

لم يكن للمسجد النبوي الشريف على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مآذن وإنما كان يؤذن من على سطح دار عبد الله بن عمر التي كانت بظهر القبلة وكان سيدنا بلال بن رباح يرتقي ظهر هذا الدار ليؤذن من عليها، ولما جدد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي أمر عامله عمر بن عبد العزيز أن يبني أربع مآذن بزوايا المسجد الأربعة ولا يوجد بقايا لهذه المآذن حاليا والموجود بالمسجد حاليا عشر مآذن منها خمس أثرية والباقي من تجديدات الحكومة السعودية.

المآذن الأثرية

مئذنة باب السلام: وتقع إلى جوار باب السلام بالجهة الجنوبية الشرقية من المسجد، وكانت تطل على دار مروان فلما حج الخليفة سليمان بن عبد الملك ارتقاها المؤذن فكشفت داره فأمر بهدمها ثم أعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بناءها عام 706 هـ ولا تزال هذه المئذنة باقية دون تغيير في هيئتها.

مئذنة باب الرحمة: وقد انشأ هذه المئذنة السلطان قايتباي المحمودي في العصر المملوكي، وكانت قمتها محدودة على النسق العثماني ثم قامت الحكومة السعودية بترميمها على النسق المملوكي.

أما المئذنة الجنوبية: وهي المئذنة الرئيسية للمسجد النبوي تقع بالزاوية الجنوبية من المسجد خلف الحجرة النبوية ولا تزال هذه المئذنة بهيئتها المملوكية من عصر الناصر محمد بن قلاوون.

المئذنة السليمانية: وتقع بالزاوية الشمالية من المسجد وكانت مبنية على الطراز العثماني ثم قامت الحكومة السعودية بتجديدها على الطراز المملوكي.

أما المئذنة المجيدية: وتقع بالزاوية الغربية من المسجد، وكانت على الطراز العثماني ثم جددتها الحكومة السعودية على الطراز المملوكي.. وقد اضافت الحكومة السعودية خمس مآذن أخري ليصبح عدد المآذن عشرة.

أسس في ربيع الأول من العام الأول من الهجرة وكان أساسه الحجارة والطوب اللبن

معالم المسجد النبوي

منبر النبي قال النبي : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي» صحيح البخاري رقم (6588-1888-1196) ومسلم رقم (1391). قوله على حوضي: أي انه يعاد هذا المنبر على حاله وينصب على حوضه .

وكان النبي يخطب أولاً إلى جذع نخلة ثم صنع له المنبر فصار يخطب عليه، روى البخاري في صحيحه (6/601 فتح الباري) عن جابر ((أن النبي كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي فضمه إليه يئنُّ أنين الصبي الذي يُسكّن قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها)) . واقيم بعد الجذع ماكنه أسطوانة تعرف بالإسطوانة المخلقة اي: المطيبة. ولحرمة هذا المنبر جعل النبي إثم من حلف عنده -كاذبا- عظيما، فقد روى الإمام أحمد في المسند (2/329- 518) عن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((لا يحلف عند هذا المنبر عبد ولا أمة على يمين آثمة ولو على سواك رطب إلا وجب له النار)) حديث صحيح.

الروضة

هي موضع في المسجد النبوي واقع بين المنبر وحجرة النبي ومن فضلها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي» . وذرعها من المنبر إلى الحجرة 53 ذراعا، أي حوالي 26 مترا ونصف متر وهي الآن محددة سجاد اخضر اللون مختلف عن بقية سجاد الحرم .

الصفة

وتعرف بدكة الاغوات بعدما حُوّلت القبلة إلى الكعبة أمر النبي محمد بن عبد الله بعمل سقف على الحائط الشمالي الذي صار مؤخر المسجد، وقد أعد هذا المكان لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل وإليه ينسب أهل الصفة من الصحابة ومن أشهرهم أبو هريرة .وكان الصحابة يأخذ الواحد منهم الاثنين والثلاثة من أهل الصفة فيطعمهم في بيته، كما كانوا يأتون بأقناء الرطب ويعلقونها في السقف لأهل الصفة حتى يأكلوا منها، فذهب المنافقون ليفعلوا مثل فعلهم رياء فصاروا يأتون بأقناء الحشف والرطب الرديء، فأنزل الله فيهم قوله: «وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ..» سورة البقرة آية: 267. وفيهم نَزَلَ قَوْلُ القرآن: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ» سورة البقرة آية 273. وكان جُل عمل أهل الصفة تعلم القرآن والأحكام الشرعية من رسول الله أو ممن يأمره رسول الله بذلك، فإذا جاءت غزوة خرج القادر منهم للجهاد فيها. واتفقت معظم الأقوال على أن ما يقرب من أربعمائة صحابي تواردوا على الصفة، في قرابة تسعة أعوام إلى أن جاء الله بالفتح، وذلك قبيل وفاة النبي . يقول أبو هريرة : «لقد رأيت معي في الصفة ما يزيد على ثلاثمائة، ثم رأيت بعد ذلك كل واحد منهم والياً أو أميراً، والنبي قال لهم ذلك حين مر بهم يوما ورأى ما هم عليه.

الحجرة الشريفة

هي حجرة عائشة والتي دُفن فيها النبي بعد وفاته، ثم دفن فيها بعد ذلك ابو بكر الصديق سنة 13 هـ وكان قد أوصى عائشة أن يدفن إلى جانب رسول الله فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله . انظر طبقات ابن سعد (3/209) ودفن فيها بعدهما عمر بن الخطاب سنة 24 هـ إلى جانب الصديق، وكان قد استأذن عائشة في ذلك فأذنت له، وروى قصة الاستئذان البخاري في صحيحه (3/256 فتح الباري).

و صفة القبور وترتيبها كالآتي قبر النبي في جهة القبلة مقدما. ويليه خلفه قبر ابي بكر الصديق ورأسه عند منكب النبي . ويليه من خلفه قبر عمر بن الخطاب، ورأسه عند منكب الصديق، وكانت الحجرة من جريد مستورة بمسوح الشعر، ثم بنى عمر بن الخطاب حائطا قصيرا، ثم زاد فيه عمر بن عبد العزيز. انظر طبقات ابن سعد (2/494). وفي عهد الوليد بن عبد الملك أعاد عمر بن عبد العزيز بناء الحجرة بأحجار سوداء بعدما سقط عليهم الحائط، فبدت لهم قدم عمر بن الخطاب . كما في صحيح البخاري (3/255 فتح الباري). ثم جدد جدار الحجرة في عهد قايتباي (881هـ).

الحائط المخمس

هو جدار مرتفع عن الأرض بنحو 13 ذراعا أي ستة أمتار ونصف، بناه عمر بن عبد العزيز سنة 91 هـ حول الحجرة ، وسمي مُخَمساً لأنه مكون من خمسة جدران وليس له باب، وجعله مخمساً حتى لا يشبه بالكعبة.

القبة الخضراء

ومن أهم معالم المسجد القبة الخضراء التي أمر السلطان المملوكي المنصور قلاون الصالحي بعمارتها فوق الحجرة النبوية التي يقع فيها قبر النبي محمد بن عبدالله وصاحبيه أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب.

مكتبة الحرم النبوي

ومن المعالم الموجودة بالمسجد النبوي مكتبة الحرم النبوي والتي تحتوي على مخطوطات وكتب قيمة وكان مؤذني المسجد على عهد النبي هم بلال بن رباح، وسعد بن أبي وقاص، وابن أم مكتوم ، وأبو محذورة.